

الدعوة للطاعة

موضع الخلوة، موضع خلاء

"وَفِي الصُّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلَاءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ، فَتَبِعَهُ سَمْعَانُ وَالَّذِينَ مَعَهُ. وَلَمَّا وَجَدُوهُ قَالُوا لَهُ: إِنَّ الْجَمِيعَ يَطْلُبُونَكَ. فَقَالَ لَهُمْ: لِنَذْهَبَ إِلَى الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِأَكْرَزَ هُنَاكَ أَيْضًا، لِأَنِّي لِهَذَا خَرَجْتُ" (مرقس ١: ٣٥-٣٨).

لكي يذهب الرب يسوع إلى مدن أخرى، لتحقيق الغرض من حياته، كان عليه أن يزور مكانًا منفردًا بشكل متكرر. لا يوجد دليل على أن رجل الله يمكنه أن ينهي المسار الموضوع أمامه بدون أن يقضي وقتًا كثيرًا في مكان منعزل.

خذ مثلاً القديسين العظماء في الكتاب المقدس الذين يشكلون جزءًا كبيرًا من تاريخنا:

- ١- زرع إبراهيم أشجارًا كمكان للدعوة باسم الرب (تكوين ٢١: ٣٣).
- ٢- اعتاد إسحاق التأمل في الحقول (تكوين ٢٤: ٦٣).
- ٣- رأى يعقوب ملائكة الله يصعدون وينزلون من السماء في مكان منعزل (تكوين ٢٨: ١٢).
- ٤- قضى موسى أربعين عامًا في البرية (أعمال الرسل ٧: ٣٠) قبل دعوته عند الشجرة (العليقة) المشتعلة وأمضى أربعين يومًا وحده مع الله مرتين على جبل سيناء (خروج ٢٤: ١٨؛ ٣٤: ٢٨).
- ٥- أمضى الأنبياء وقتًا في معية الله أكثر من الوقت الذي أمضوه مع الناس.
- ٦- بدأ بولس خدمته بقضاء ثلاث سنوات من العزلة في الصحراء العربية (غلاطية ١: ١٧، ١٨).
- بالمثل كان جميع الرسل الآخرين أصدقاء لمكان منعزل.
- ٧- هناك أيضًا عظماء منذ يوم الخمسين، مثل أوغسطينوس ولوثر وجون فليتيشر وجون ويسلي، إلخ، الذين كانت أماكن العزلة الانفرادية بالنسبة لهم قصورًا للانتعاش.

علينا أن نتذكر أن آدم وحواء خُلقا في اليوم السادس. كان أول يوم رأوا فيه شروق الشمس يوم راحة. قبل أن يبدأ يسوع خدمته أمضى أربعين يومًا في مكان منفرد (مرقس ١: ١٣). لم تكن آخر كلمات الرب يسوع لتلاميذه عند صعوده "اذهبوا"، بل "فأقيموا" (لوقا ٢٤: ٤٩). التحذير القديم لصاحب المزمور هو: "كفوا واعلموا أنني أنا الله" (مزمور ٤٦: ١٠). يصدق الأمر اليوم، مثلما هو كذلك على الدوام، إنه لا يمكن معرفة الله دون أن نلتقي به في مكان منعزل. لا بد أن يتعلم الإنسان من الله مباشرة. ينبغي أن يتعلم الإنسان من الله بشكل لصيق في قلبه أو لا يعرفه على الإطلاق.

ننا نضع الكثير من التركيز على الذكاء، أما الله فيبحث عن القلوب. لا يمكن معرفة الله بالعقل. يضع ذكاؤنا حدودًا حول كل شيء. إنه يقيس ويتساءل ويزن ويصف ويحدد ويناقش. والحقيقة هي إنه لو كان لدينا إله يمكن تعريفه، فهو ليس إله الكتاب المقدس. يمكننا فقط أن نحاول وصف الله باستخدام مقارنات مثل تلك الموجودة نجدها في سفر الرؤيا: إنه مثل، هو مثل، هو مثل (رؤيا يوحنا ١: ١٥؛ ٢: ١٨؛ ٤: ٣). بعبارة أخرى إنه يشبه ذلك قليلاً، لكنه ليس كذلك، وهو يشبه الآخر قليلاً لكنه ليس كذلك. ثم ماذا هو أو من هو؟ نجد القليل منه في الشمس ينشر مجد الصباح على البحر البلوري؛ نجد القليل منه في الرعد الضارب مثل ذلك الذي دفع مارتن لوثر للانطلاق إلى دير، أو نرى القليل منه في زوج من

النسور الشابة عالية الارتفاع تلهو بمغامرة في تيارات السماء العليا. فإن أمضينا وقتًا في مكان انفرادي، فإننا نجد أنفسنا نكتشف المزيد منه. ويستمر تعجبنا ودهشتنا في الازدياد إلى ما لا نهاية مما يتيح لنا إدراك المزيد من مجده (خروج ٣٤: ٢٩، ٣٠). لن نتمكن أبدًا من وضع تعريف لإله الكتاب المقدس. إن كانت الدفاعيات لا تقودنا من ذكائنا إلى ما هو فائق للطبيعة، فهذا مضيعة للوقت. في الواقع، إننا عندما نلتقي به، يتعين علينا الجلوس عند قدميه حتى نعرفه وقوة قيامته (رؤيا يوحنا ٣: ٢٠؛ فيلبي ٣: ١٠).

بهذه الطريقة ننقل من مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ (كورنثوس الثانية ٣: ١٨). لا يمكن أن يتوقف مجد الله عن الانطلاق. فهو ليس ساكنًا، لكنه متحرك وديناميكي بطبيعته. لا يمكننا تثبيت مجد الله في كتاب للفكر اللاهوتي أو في عقيدة أو في فصول مدرسة الأحد أو في محاضرة. إلا أن هذه هي طريقة تعرف الكثيرين منا على الله. ثم نتجاوز لقاءه في مكان على انفراد وينتهي الأمر بمعرفة المزيد عنه، بدون أن نتشبه به. هذه هي الطريقة التي تعلم بها عشرات الآلاف من الرعاة عن الله في مؤسساتهم اللاهوتية، أن يكون في المرتبة الثانية. نعم، هذا أفضل من لا شيء، لكنه بعيد كل البعد عما هو مطلوب لجلب المياه الحية للأرواح العطشى لتجهيزهم "للذهاب إلى المدن التالية" حسب كلام الرب يسوع. مع أن الله الذي خلقنا يشاق دائمًا كل يوم، إلى الإعلان عن نفسه لنا مباشرة على انفراد في مكان منعزل، ليعلمنا مباشرة. لا بديل لهذا.

هذه حقًا طلبه الرب يسوع في صلاته الشفاعية كرئيس كهنة من أجلنا: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا ١٧: ٣). الكلمة اليونانية هنا التي تعني "يعرف" هي جينوسكو ginosko. هذه الكلمة تعني "أن تعرف بالاختبار" بطريقة حميمة وهي مستخدمة في (أفسس ٣: ١٩؛ فيلبي ٣: ١٠؛ يوحنا الأولى ٢: ٣، ٤). يريد الرب يسوع منا أن نختبر الله. إن لم نختبره بشهادة الروح القدس، فإننا لا نعرفه. هل تساءلت يومًا لماذا قال الرب يسوع إنه ينبغي علينا جميعًا أن "يَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ" (يوحنا ٦: ٤٦)؟ ما الذي يعنيه بهذا؟ إنه يعني أن المعرفة غير المباشرة عن الله غير كافية للأسف. إن الروح القدس نفسه هو الذي يريد أن يقودنا إلى كل الحقيقة.

الآن، أول ما ينبغي علينا أن نفعله خلال وقت الخلوة في مكان على انفراد، هو أن نرتب عقولنا. إن كان الذهن مشوشًا، فلن يكون هناك مجال للأفكار العميقة، وسيمنعنا ذلك من المجيء إلى راحة النفس. ها هو اقتباس من إيه دبليو توزر، سجله عام ١٩٦٠م، في كتاب "عن الله والناس"، قبل ظهور الهواتف المحمولة والإنترنت.

ينبغي علينا نحن المسيحيين أن نبسِّط حياتنا أو نفقد كنوزًا لا توصف على الأرض وفي الأبدية. الحضارة المعاصرة معقدة لدرجة أنها تجعل حياة العبادة شبه مستحيلة. إنها ترهقنا من خلال مضاعفة المشغوليات وتضربنا من خلال تدمير خلوتنا، وإلا فإننا قد نشرب ونرتوي ونجدد قوتنا قبل الخروج لمواجهة العالم مرة أخرى.

قال شاعر في أوقات أكثر هدوءًا: "النفس المتأملة تلجأ إلى الخلوة". لكن أين هي الخلوة التي يمكن أن نلجأ إليها اليوم؟ إن العلم، الذي وفر للناس بعض وسائل الراحة المادية، سلب منهم أرواحهم من خلال إحاطتهم بعالم يُعادي وجودهم. "تشاور مع قلبك على سريرك وكن ساكنًا". هذه نصيحة حكيمة شافية،

ولكن كيف يمكن اتباعها في هذا اليوم مع وجود الصحف والهاتف والراديو والتلفزيون؟ كبرت هذه الألعاب الحديثة، مثل أشبال النمر الأليفة، بشكل كبير وخطير لدرجة أنها تهدد بابتلاعنا جميعًا. ما قصد به أن يكون نعمة أصبح نقمة إيجابية. لا يوجد الآن مكان آمن من اقتحام العالم له وتدخله فيه. إن العالم المتحضر يدمر بإحدى الطرق، البشر بمنعهم من التفكير في أفكارهم.

من خلال تقنياتنا وأدواتنا الحديثة، يتم غسل أدمغتنا بسهولة ثم نعيش فقط من خلال أفكار الآخرين سابقة التجهيز سلفًا. مرة أخرى، يجب أن نعرف الله معرفة شخصية. يجب ألا نبني حياتنا على الآراء الشخصية للآخرين عن الله إلا إن كانوا يسيرون مع الله. مرة أخرى، لا بد على كل واحد منا أن يتكى على صدر الرب يسوع كما فعل يوحنا: "وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ" (يوحنا ٦: ٤٥). إن أسباب وجود مئات الطوائف لدينا هي أن لدينا مئات الآراء عن الله. وكل من علمهم الروح القدس يصبحون واحدًا ويشكلون كنيسة الرب يسوع المسيح الحقيقية؛ العروس التي بلا دنس أو عيب. هل يمكنك أن ترى القضية تزداد بالنسبة لنا تفككًا وتجد مكانًا منعزلًا للجنوسكو، لكي نعرف الله؟ بالنسبة لمعظمنا، ليست الحاجة إلى قراءة المزيد بل الانتظار أكثر. تذكر أنه حتى القرن الخامس عشر الميلادي، لم يكن هناك مطبوعات يمكن الاعتماد عليها. الناس عرفوا الله من خلال لقائهم في مكان منعزل. فليست الكتب والعظات بديلاً عن الاجتماع معه وحده.

في مكان الخلوة تتعرف على الله كما أن موسى عرف الله وجهًا لوجه (خروج ٣٣: ١١). في خلوتك الانفرادية، تتنقى وتُصقل من كل خَبَث. هناك، تتعلم أن ترى نفسك كما تريد أن ترى نفسك. ويحدث الشفاء لإنسانك الداخلي، ويتم حل المشاكل، والرد على الأسئلة، وإزالة سوء الفهم، وضبط المواقف وإعادةها إلى روح المسيح. في موضع الخلاء، محادثتك بينك وبين حبيبك تثري بشكل رائع، وكل شيء مفتوح ولا يلزم حماية أي شيء. هناك يتم فتح نوافذ الاحتمالات ويتم التحضير الحقيقي لك لإنهاء مهمتك.

إنك تقول: "إنني أرى الحاجة إلى كل هذا، لكنني لا أستطيع تخصيص الوقت. "يمكنك تخصيص الوقت لتغيير نمط حياتك عندما يتأذى طفلك، أليس كذلك؟ بمجرد أن تصبح يائسًا بدرجة كافية، ستخصص الوقت. فأكنت لا تستطيع على الإطلاق إدراج ذلك في جدولك اليومي، يمكنك أن تفعل ما فعله الرب يسوع. لقد قام باكراً ليذهب إلى الجبل ليصلي. ثم تقول: "لكنني لا أعرف كيف أخلي ذهني ليكون صافيًا حتى أتمكن من الإصغاء". ارجع إلى المقال CTO ٣٦٨ المنشور مؤخرًا. "وكان يعقوب وحيدًا." إن اليأس مصحوبًا بالانضباط، يا صديقي، يأخذناك إلى مدخل موضع خلوتك. كن مثابرًا منضبطًا صبورًا. فتجد أن مكان خلوتك هو أفضل شيء في هذا الجانب من السماء. لقد خلقنا جميعًا وأعيد خلقنا "وَأَجْلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أفسس ٢: ٦). سيحدث هذا في موضع خلوتك وتبدأ في النمو وتثمر ثلاثين وستين ومائة. تأمل في موضع الخلوة الانفرادي. هذه هي الخطوة الأولى نحو جبل التجلي. لمزيد من المقالات، قم بزيارة موقع الويب الجديد الخاص بي:

www.joyfulabiding.com

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA